

حمزة المصطفى*

عرض كتاب

الأكراد واللغة والسياسة: دراسة في البنى اللغوية وسياسات الهوية

المؤلف: عقيل سعيد محفوظ.

الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

سنة النشر: ٢٠١٣.

عدد الصفحات: ٢٨٦ صفحةً.



* باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

• الفروع اللغوية الجنوبية والجنوبية الشرقية: وهي تتضمن عدّة لهجات؛ مثل الغورانية، والهورامية، والموركزية، والكلهورية، الناكيلية والكيندولية، والسنجابية والكاكائية.. إلخ.

يعالج الفصل الرابع الجدال الألفابائي المستعمل؛ من جهة تعلق الألفبائية الكردية بالألفبائية العربية (أصليةً كانت أو مُعدّلةً)، أو بالألفبائية اللاتينية. وقد برز هذا الجدال بالتزامن مع إحياء اللغة الكردية حديثاً. في حين يتناول الفصل الخامس ما يسميه المؤلف " التهديد اللغوي للأكراد"، وهو يُفرّق بين تحديات ذاتية تخص المجتمع الكردي نفسه، وأخرى خارجية يُقصد بها السياسات العامة للمجال الكردي في ما يتعلّق بالبناء اللغوي مثل سياسة "التعريب"، أو "التريك"، أو "التفريس" (نسبةً إلى فارس).

يفرد المؤلف صفحات الفصل السادس للحديث عن التجارب اللغوية للأكراد، وهي تجارب حديثة مرتبطة بزمن الحداثة السياسية للمنطقة في الفترة ما بعد الكولونيالية، بالنظر إلى أنّ الأكراد لم يُؤلّوا في الماضي مسألة اللغة أهميةً كبيرةً بسبب انشغالهم بهواجس أخرى على غرار تحقيق الأمن الذاتي، ومواجهة السلطات في مجالهم الجغرافي والديموغرافي، والفقير.. إلخ. ويعرض المؤلف التجارب اللغوية الكردية في القرن العشرين، وأهمها:

• توفيق وهبي (١٩٨١-١٩٨٤): هو ضابط كردي في الجيش العراقي، قدّم مشروعاً متعلّقاً بنظام اللفظ والكتابة الكردية من خلال رؤية مقارنة بين الألفبائيتين العربية واللاتينية، مع تفضيله اللاتينية في الكتابة. بيد أنّ محاولاته لم تكتمل بسبب صعوبات في تفضيل الحرف اللاتيني على الحرف العربي (الحرف الذي كُتب به القرآن).

• عرب شمو (١٨٨٩٧-١٩٧٨): قام بعمل مؤسس لكتابة الكردية في الاتحاد السوفيتي سابقاً، وخرج بأبجدية لاتينية غير تلك التي صمّمها اللغوي الأرمني بالاعتماد على الأبجدية الأرمنية.

• جلادت بدرخان (١٨٩٧-١٩٥١): صدر له كتاب قواعد الألفباء الكردية في دمشق عام ١٩٣٢، وحاول أن يوائم في مشروعه بين التجربتين الفرنسية والتركية

ويدور الفصل السابع حول السياسات التي تنتهجها دول المنطقة تجاه أكرادها في ما يتعلق بموضوع الهوية في أبعادها اللغوية والثقافية والممارسات العقابية المتضمنة في التشريعات والقوانين،

في ظلّ الانفجار الكبير للمشرق العربيّ، وتفكُّك مجتمعاته ودوله، وصعود الهويات الفرعية الناجم عن إخفاق أنظمة الاستبداد العربيّة في إرساء هوية وطنية جامعة في دولها المتعدّدة دينياً وطائفيّاً وإثنيّاً وعرقيّاً، يأتي كتاب الأكراد واللغة والسياسة: دراسة في البنى اللغوية وسياسات الهوية ليسانس على فهم مسألة من أبرز المسائل المعقّدة والممتدة منذ عشرينيات القرن الماضي؛ وهي المسألة الكردية بجميع تشابكاتها الجيوستراتيجية، والديموغرافية، والحقوقية، فضلاً عن جدل الواقعي والمنتخيل والأسطورة.

يشتمل الكتاب على ٢٨٦ صفحةً تتوزعها مقدمة وعشرة فصول وخاتمة وملاحق. ويعرض الفصل الأول الإطار المنهجي، والمفردات النظرية التي يستخدمها المؤلف؛ مثل الهوية والسياسات اللغوية وسياسات الهوية والإصلاح اللغوي. ويخوض الفصل الثاني في قضايا إشكالية غير متفق عليها؛ من قبيل أصل اللغة، والكلام والروايات المتداولة، والأساطير، والسرديات التاريخية والدينية المتعلّقة بأصول تاريخية للأكراد من الجوانب اللغوية (اللغة الكردية الأم)، سواء كان ذلك في الكتب الدينية القديمة (أفيستا)، أو السرديات الشفوية والحكايات؛ مثل حديث فاطمة الزهراء وأبيها النبي محمد (ص) الذي أخبرها بوجود لغات كثيرة غير العربية.

ويذكر المؤلف في هذا الفصل اللغة الكردية، والشاهمانة (كتاب الملوك) للشاعر الفارسي أبي القاسم الفردوسي، وما نقله المسعودي في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر عن الأصول العربية للأكراد، وقصة الملك الضحاك.. إلخ، ويتوقف عند التكوينات الدينية في المجال العامّ الكردي؛ مثل اليارسانيين، والبهائيين، والأيزيديين، والإسلام. ثمّ يناقش في الفصل الثالث اللهجات أو التكوين اللهجي لما يسميه "المجال الجغرافي الكردي" الذي يُعدّه من أهمّ إشكاليات الواقع الكردي الراهن. ويصنف المؤلف اللهجات الكردية في ثلاث مجموعات، هي:

• اللهجات الشمالية: وأهمها الكرمانجية الشمالية التي تنتشر في تركيا وسورية، والكرمانجية الجنوبية التي تنتشر في العراق، ومجموعة من اللهجات الفرعية المنطقية؛ مثل الأديامانية والمرعشلية والبرجيندية.. إلخ.

• اللهجات الجنوبية : وهي تنتشر في إيران والعراق، وأبرزها السورانية، والفيلية (شفوية، لا كتابية)، والقصير شيرينية.

منها - على المعطى اللغوي، وهي بذلك تفتح على بُؤر من التوتر والنزاع بين الأكراد وحيرائهم أو "مستعمرهم" اللغويين من جهة، والأكراد أنفسهم وجماعاتهم اللغوية أو لهجاتهم من جهة أخرى.

لا شك في أنّ هذا الكتاب يُعدُّ رافداً مُهمّاً للمكتبة العربية؛ بالنظر إلى غزارة معلوماته من جهة، وأهمية الموضوع الذي تناوله من جهة أخرى، وخصوصاً أنّ هذا الموضوع أصبح بالنسبة إلى الباحث والمواطن العربي أولويةً في الأوضاع الراهنة.

إضافةً إلى أساليب الاحتواء، والاضطهاد الثقافي. وقد أدّت السياسات السابقة إلى ردّات فعلٍ ساهمت في تطور وعي الأكراد تجاه هويتهم الفرعية، ولغتهم، ولهجاتهم. ويناقش المؤلف هذه الدينامية المركّبة على نحوٍ تفصيليٍّ في الفصل الثامن.

استناداً إلى التجارب اللغوية التي عرضناها سابقاً يعالج المؤلف في الفصل التاسع مسألة الإصلاح اللغوي، ثمّ مسألة اللغة وسياسات الهوية، في الفصل العاشر، فيرى أنّ سياسة الهوية تُؤسّس - في جوانب